بحث موجز حول

طرق تفسير القرآن والتقريب بين الأمة

✍ العلامة: السيد بدر الدين أمير الدين الحوثي

❐ الحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد و آله الطاهرين، وبعد:

«فهذا بحث في طرق التفسير للقرآن الكريم» قال الله تعالى ﴿إنّ هَذَا القُرآنَ يَهْدِي لِلّتي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُوَر وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتّبَعَ رِضوانَهُ سُبُلَ السّلام وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيم﴾[2] وقال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللّهُ النّبيّينَ مُبَشّرينَ وَمُنْذِرينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتابَ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاس فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[3] وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدّوهُ

(١) الإسراء: ٩.
(٢) المائدة: ١٥.
(٣) البقرة: ٢١٣.

﴿إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسولِ﴾[1] قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: الرد الى الله الرد الى كتابه، والرد الى رسول الله الرد الى سنّته الجامعة غير المفرّقة.

فعلينا أن نتمسّك بالقرآن كما أمرنا ربّنا والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّهُ فَأولئِكَ هُمُ الكافِرونَ﴾.[2]

أما تفسير القرآن الكريم فالطريق اليه:

أولاً: اعتباره مطابقاً للسان العربى لأنّ الله تعالى يقول في القرآن ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمينَ نَزَلَ بِهِ الرّوحُ الأمينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتكونَ مِنَ المُنْذِرينَ بِلِسَانٍ عَرَبي مُبينٍ﴾[3] وبناء على ذلك يكون التفسير بواسطة علوم العربية متن اللغة والنحو والتصريف والبيان.

ثانياً: البعض من القرآن يفسر البعض أعني يفهم المراد في هذه الآية بما قد فهمناه في آية اخرى.

ثالثاً: العقل وليس المراد أن العقل وحده يفسر القرآن ولكن مواضع الاحتمال بالنسبة الى اللغة العربية فالتفسير بالإجمال الموافق للعقل هو الواجب وكذلك يعيّن العقل ما هو المحكم وما هو المتشابه بناء على أن المتشابه ما كان ظاهر لفظة منه مخالفاً لقضية العقل، والمحكم ما اتضح معناه بلا مخالفة للعقل وهذا لأن العقل حجة الله على الإنسان يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلّ مِنْكُمْ جِبِلاً كَثيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤولاً﴾[5] ولأنّه كثيراً ما

(١) النساء: ٥٩.
(٢) المائدة: ٤٤.
(٣) الشعراء: ١٩٥.
(٤) يس: ٦٢.
(٥) الإسراء: ٣٦.

يترك تخصيص العام أو تقييد المطلق اكتفاء بعلم السامعين كما يكتفون به في باب الحذف فيفرق به مثلا بين معنى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾[1] ومعنى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾[2] فلا يصح التفسير مع التجاهل.

رابعاً: التفسير بالسّنّة وهذا في تعيين المحتمل بالنسبة الى اللغة العربية وسياق الكلام أمّا تفصيل المجمل فهو من السُنّة نحو عدد ركعات الصلوة وشروط الطواف فإن عُدّ من التفسير فلا بأس في ذلك، وأما التخصيص لعموم القرآن بالسُنّة فنظراً الى أنّ معنى التخصيص هو صرف العموم عن دلالته على الكلّ الى دلالته على الباقي بعد التخصيص فإن القرآن عربي ينصرف معناه الى العموم اذا لم يقترن بالمخصص أو يكون المخصص قد سبق وصار معلوماً للسامع يترك معه ذكر التخصيص اكتفاء بعلم السامع، أو يكون المخصص العقل فهو كذلك فأمّا ان يخصّص بمتأخر منفصل فهذا لايصحّ في اللسان العربي لأن العموم ينصرف الى الكلّ فلا تتغير دلالته على العموم بل يعتبر في الخبريات تناقضاً ولايصحّ في كلام الحكيم.

وفي العمليات يصح ما يسمّى تخصيصاً ولكن ليس رافعاً لدلالة العام وإنما هو نسخ أو محو ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَآءَ وَيُثْبِتُ وعِنْدَهُ أُمّ الْكِتَابِ﴾.[3]

وأما صرف القرآن عن ظاهره بالسُنّة فلو فرض وقوعه فلا يصح الحكم به إلا إذا عُلمت السُنة قطعاً بالتواتر اللفظي والمعنوي أو بالخبر المحفوف بقرائن تصيره معلوماً. أما الروايات المظنونة فلا يؤوّل بها القرآن بل يحكم بالقرآن لأنّه متيقن معلوم ومحفوظ من الزيادة والنقصان. أما الروايات فقد كثر فيها الكذب

(١) النساء: ٢٣.
(٢) المائدة: ٣.
(٣) الرعد: ٣٩.

على رسـول اللـه صلى الله عليـه وآلـه وسلم تبعاً للسياسات الدولية والتعصبات المذهبية وتبعاً لغلط بعض الرواة من طريق السهو او من طريق سوء الفهم.

وقـد قِيل تُحَكّم الـروايـات اذا خـالفت ظاهر القرآن وأن السّنّة حاكمة على القرآن، واحتج أهل هذا القول بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنّاسِ مَـا نُـزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، قالوا فلما كان هو المبين كان الواجب تقديم ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم وجعله مبيناً للقرآن ولو بطريقة التأويل.

والـجـــواب أن الآية الكـريمة ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنّـــاسِ﴾ لاتـــدلّ على صـــدق الروايات المخـالفة للقرآن ولا تدل على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بيّن القـرآن بمـا يصـرفـه عن ظاهره، لأن التبيين منه صلّى الله عليه وآله وسلم يحصل بالبـلاغ الـواضح للسـامع لاغمـوض في الصوت بل هو مسموع بيّن للسامعين ولا غمـوض في اخـراج الحروف من مخارجها بل هي بيّنة وبهذا يكون قد بيّن للناس القرآن والسُنّة القولية ولاتدلّ الآية الكريمة على أكثر من هذا.

فلا يصحّ قـولهم «إنّ السّنّة حـاكمة على القـرآن» كيف؟ والرسول صلى الله عليـه وسلم اول مامـور باتبـاع القرآن في قول الله تعالى ﴿وَهـٰذَا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ فَاتَّبِعوهُ وَاتَّقوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.(١)

والحق أنّ القرآن هو الحاكم لأنّ اللّه تعالى قد جعله حاكماً بين الناس فيما اختلفـوا فيـه، فـالعمل بظاهـر القرآن هو العمل بالحكم الذي في القرآن الذي يدلّ عليـه لأنّ ظاهره قد حكم بخلاف حكم الرواية فيكون دليلاً على أنها غير صحيحة أو أنها متأولة بما يوافق القرآن أو أنها منسوخة فيما يمكن فيه النسخ.

والـدليل على أنّ القـرآن هو الحاكم قول الله تعالى ﴿فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيّينَ

(١) الأنعام: ١٥٥.

﴿مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرينَ وَأنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فيما اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[1] فاذا اتبعناه كنّا قد حكّمناه على الروايات عملاً بهذه الآية. اما اذا عملنا بالروايات وتركنا القرآن كنّا قد حكّمنا الروايات على القرآن بغير دليل.

فان قالوا: الدليل، أنّ الله قد أمر باتباع االرسول، قلنا: وقد امر باتباع القرآن. والرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل التمسك به اماناً من الضلال في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فقد استوى القرآن والسّنة في وجوب اتباعهما وليس النزاع في ذلك إنّما النزاع في الروايات الظنية التي لانعلم أنّها من السّنّة.

واختص القرآن بانه متيقن وبأن الله جعله حاكماً بين الناس فيما اختلفوا فيه وبأن الله خص القرآن من بين الوحي بان جعله كتاباً ليحفظ ويتبع على تعاقب الاجيال وعند اختلاف الروايات وكثرة الكذب على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال سبحانه ﴿وهذا كِتَابٌ أنزَلناهُ مُبَارَكٌ فَاتّبِعُوهُ واتّقوا لَعَلّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[2]

وليكون إيّاه غاية باقية مصدقاً للرسول وبشيراً ونذيراً فلو حكّمنا عليه الروايات لضاع بين التفاسير المكذوبة معظم الهدي في القرآن.

وايضاً فإن القرآن كلام أحكم الحاكمين بلسان عربي مبين فلا يحتاج الى أن يترجمه الرسول ليفهمه العرب لأنه نُزّل بلسانهم فلا يصحّ دعوى أن الروايات حاكمة على القرآن بدعوى انها بيان للقرآن لانه يستلزم ان يكون التعبير في القرآن ناقصاً عن إفادة المقصود به وهذا يخالف قوله تعالى ﴿بِلِسانٍ عَرَبيٍّ مُبِينٍ﴾[3]

(١) البقرة: ٢١٣.
(٢) الانعام: ١٥٥.
(٣) الشعراء: ١٩٥.

لأن كونـه مبينـا ينـافي كونه قاصرا عن إفهام المقصود يحتاج فيه الى بيان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا واضح والحمد لله.

وبمثل مـا قلنا في تفسير القرآن بالسّنّة نقول في تفسيره بقول أمير المؤمنين علي عليه السلام او غيره من الأئمة عليهم السلام.

نعم حيث أن رسـول اللـه صلّى الله عليـه وآلـه وسلم قـد أوصى أمّتـه بـالتمسك بالقـرآن وعترتـه. فعلينا أن ننظر في القرآن باستقلال فكر وحرية نظر بلا تقليـد لأحد من المفسرين بل بالطرق المذكورة سابقاً ومع ذلك نتمسك بالعترة في التفسيـر ونستعين بهم على فهم غـوامض القـرآن وإحراز درر فوائده، ولاتعارض بين هذا وبين تحرير الفكر في تفهّم القرآن لأن علماء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضحـون لمن تمسّك بهم دلالته ومن اين دلّ على ما ذكروه حتى تتّضح له صحّة ما ذكروه من دون أن يخالف الواضح من معاني القرآن.

مثال ذلك قول الله تعالى في الانسان عند الرضـاعة ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[1] فهذا كلام واضح معناه، وقوله تعالى ﴿وحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾[2] وهذا واضح معنـاه ان جملة مـدة الحمل والـرضـاع ثلاثـون شهـراً فحين نرجع الى امير المؤمنين علي عليه السلام نجده يبيّن لنا دلالة مجموع الآيتين على أن أقلّ الحمل ستة أشهـر وهـذا واضح يقبلـه الفهم بدليله من القرآن وعلى هذا يتبيّن أنّه لاتنافي بين تحرير الفكر والتمسّك بالعترة في التفسير.

---

(١) لقمان: ١٤.

(٢) الأحقاف: ١٥.

فصل
في التقريب بين الأمة

إعلم أنّ التقريب بين أهل المذاهب له معنيان:

الأول التقريب بينهم بالتلاقي بينهم في المسائل المتّفق عليها بينهم والسكوت عن الخلافات فيشتركوا في العمل على ما اتّفقوا عليه ويتّحدوا في القوة ضد أعدائهم ولايكفر بعضهم بعضاً، ولا يفسّق، ولا يجهّل بل يعامله بالعدل، والإحسان بقدر الإمكان، ويتركه وشأنه في مذهبه المخالف مع سكوته عن الدعوة اليه في بلاد الآخرين، وعن المعارضة به في الحين بعد الحين عملاً بقول الله تعالى ﴿لاينهاكُمُ اللّهُ عَنِ الّذينَ لَمْ يَقاتِلوُكُمْ فِي الدّينِ وَلَمْ يُخرِجوُكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرّوهُمْ وَتُقسِطوا إلَيْهِمْ إنّ اللّهَ يُحِبّ المُقْسِطينَ﴾[1].

وهذا في فرض اعتقاد بعضهم كفر البعض الآخر أو فسّقه فأمّا مع عدم ذلك فلا إشكال فيجب التوحّد عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَتَعاوَنوُا عَلَى البِرّ وَالتّقْوَىٰ﴾[2] وعملاً بقوله تعالى: ﴿يا أيهاالّذينَ آمَنوُا كونوُا أنصارَاللّهِ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿يا أيها الّذينَ آمَنوُا اتّقوُا اللّهَ وَابْتَغوُا إلَيْهِ الْوَسيلَةَ وَجاهَدوُا فِي سَبيلِهِ لَعَلّكُمْ تُفْلِحوُنَ﴾[4] فاذاتوقف النصر لدين الله والجهاد في سبيل الله على التوحد بين المسلمين لزم.

---

(١) الممتحنة: ٨.
(٢) الصف: ١٤.
(٣) المائدة: ٢.
(٤) المائدة: ٣٥.

المعنى الثاني من معاني التقريب: التقريب بينهم في المذاهب والدلالة على ما به يحصل التقارب فيها.

فنقول: لاشك أنّ الله قد جعل للانسان العقل الذي هو حجة الله علي الانسان يوم القيامة يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[1] ولا إشكال أن قضايا العقول متحدة فإذا أتبعتها الفرق فلابد ان تتحد في مواضيع القضايا العقلية كلها وقد وقع التفرق بسبب إهمال العقل في بعض المسائل من بعض الفرق فتبيّن من هذا أول طريق من طرق الإتحاد وهي الرجوع إلى قضايا العقل كلّها والمراد القضايا المبتوته لا المشروطة بعدم سبب معارض كتحريم قتل الحيوان فإنه مشروط بعدم وجود مبيح يخرج القتل عن كونه ظلماً.

الثاني من طرق الإتحاد: القرآن لان الفِرَق مجمعة على أنّه من الله، وانّه حقّ كما قال الله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾[2] فيجب على الأمة اتباعه كما أمر الله وترك ما يصرفهم عنه.

وهذا يتوقف **أولاً**: على معرفة اللغة العربية، **ثانياً**: ترك التقليد في التفسير للواحد من المفسرين بل وللكثرة اذا كان سببها تقبل التفسير من بعضهم بدون تأمل وتحرير فكر فيترك التقليد في التفسير على الإطلاق.

ثالثاً: التفهّم الكامل والتأنّي حتى يحصل الفهم بلا تردّد ومن المهم جعل القرآن فوق الأغراض والتعصّبات المذهبية حتّى لايعطف القرآن على هواه والله تعالى يقول: ﴿وَلاتَتَّبِعِ الهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾.[3]

(١) يس: ٦٢.
(٢) الإسراء: ١٠٥.
(٣) صاد: ٢٦.

ومن المهم طرد الشيطان حتى لايشغله عن الفهم بوسواسه، وطرده يكون بالايمان المقرون بالتقوى أولاً، وبالتوكّل الذي يعين عليه صدق الإيمان ثانياً، وبالإستعاذة من الشيطان ثالثاً.

فهذه ثلاث خصال لطرد الشيطان قد دلّ عليها القرآن قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.(١)

ومن المهم مراجعة علماء الدين الخلّص عندما يحصل إشكال فلهم في فهم القرآن قوة اذا زهدوا في الدنيا، وكان المهم عندهم الصواب في تفسير القرآن وغيره ويكونون قد مارسوا التفسير، ونشأوا على تفهم القرآن ولاسيما من كان من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كونهم قرناء الكتاب المهم الإلتجاء إلى القرآن وترك الاستغناء عنه بالتقليد أو بالروايات ورفض توهم: انه لايستطيع فهمه، أو انه مجملات ومحتملات لايستطيع فهم المراد منها فهذا من الشيطان ليصرفه عن القرآن.

ومن المهم الزهد في الدنيا حتى يتجه الذهن إلى القرآن تماماً.

الثالث: من طرق الاتحاد إتباع السنة المعلومة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الرابع: إتباع الاحاديث المتفق عليها بين الأمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايكون العدول عن شيء من ذلك إلى اضعف منه الا لهوى أو تعصب مذهبي.

فهذه أربع طرق قد نصح القرآن بها في قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي

(١) النحل: ٩٨.

شَيءٍ فَرُدّوهُ إلَىٰ اللّهِ وَالرّسُوْلِ﴾.[1]

وقد يقال: إنّ العقل غير مذكور فيها والجواب: أنّا قَدْ بيّنّا أن استعمال العقل في التفسير والتمييز بين المحكم والمتشابه، فهو آلة الرد إلى الله والرسول فقد دلّت عليه الآية بالإلتزام.

ومن حيث أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واحد تنتمي اليه الفِرَق كلّها يمكن التقارب بين الفِرَق بالحرص على اتّباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويحتاج إلى فهم السّنّة بالطرق التي ذكرتها لفهم القرآن وأهمها فهم اللغة وتحرير الفكر على ضوء العقل والقرآن كما مرّ.

ومن حيث تبين ان عقل الفرق واحد وقرآنها واحد ورسولها واحد تبين ان معظم سبب التفرق انما هو السياسة الدولية والتعصبات وانهم تفرقوا كما تفرق الذين أوتوا الكتاب يقول الله تعالى في بني «اسرائيل»: ﴿وآتَيْناهُمْ بَيّنَاتٍ مِنَ الأمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إلاّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾[2] وفي الحديث المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «لتحذن حذو من قبلكم».

وعلى هذافتحرير الفكر واطراح التعصّب المذهبي الذي يصرف عن تحرير الفكر، وإطراح الهوىٰ كلّه، وترك التمسّك بالمألوف الموروث، من بعد أهل السياسة الذين فرقوا بين المسلمين كلّ ذلك مع كمال النظر واعتماد العقل والكتاب والسّنّة المعلومة لابدّ أن يتقارب معه المسلمون ويهون الخلاف بينهم اذا أعتمد ذلك وخصوصاً مع التقارب بالمعنى الأول.

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الجاثية: ١٧.

فصل
في صور من طرق التقريب

وهنـاك طريقة للتقريب وهي: إمكـان الجمع بين الأقـوال المختلفة على أن يـرجع المختلفـون إلى ذلك الجمع ونشيـر هنـا إلى صور من الجمع والتقريب بين الأقوال نقول:

مسألة كلام الله:

قيل هـو من صفـات الله سبحانه وقالوا هو قديم وقيل بل هو حادث وليس صفه.

وحيث أنّ الفريقين متّفقـان أنّ اللـه سبحانـه عالم بكلامه في الأزل لم يكن غافـلاً عنه عزّ شأنه وليس كالمخلوقين الذين ينشئون كلامهم بتروّ وتفكير فيسمّى الكـلام أزلياً بمعنى أنّه في علمه سبحانه في الأزل لابمعنى ان الصوت موجود في الأزل، بل بمعنى أنّـه في علمـه، وأنّ كونـه في علمـه يعتبـر وجـوداً له. كمايعتبر القرآن موجوداً في صدور الذين أوتوا العلم الحافظين له.

فيقـال القـرآن في الصحف مكتـوب وعلى الالسن مقـروء وفي الصـدور محفـوظ فاعتبـر موجـوداً في الصـدور ومعنى ذلك أنّه معلوم متصوّر في الصدور فكـذلك اذا قيل هـو موجـود في علم اللـه سبحانه في الأزل فمعناه أنّه عالم به في الأزل وكـذلك الصـوت الذي هو الكلام المؤلف من حروف وكلمات يتبع بعضها بعضـاً هو محدث فالقرآن محدث بهذاالاعتبار فنجمع بين الاعتبارين ونتّفق على

القـولين ولانكفّر بعضنا ونقول محدث ولانقول مخلوق لنثبت لله قدرة القول كما له قدرة الفعل.

مسألة أفعال العباد:

قيل هي من اللـه وقيل هي من العبـد والجمع بين القولين أن نقول: هي من العبـد اختيـاره وتلحقـه أحكامها من المدح والذم والثواب والعقاب وهي باعتبار آخـر تنسب الحسنـات إلى اللـه سبحانـه لأن وجـودهـا ترتب على أفعـالـه فهي كالمتـولّـد من فعله تنسب إليه لأنّه هدى اليهاويسر فعلها وصرف الموانع ورضيها وفي السيئـات لاتنسب لئـلا يـوهم الجبـر والـرضى بهـا فـان كانت فيها لله حكمة صحّت النسبة اليـه باعتبـار تلك الحكمة نحـو قوله تعالى ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾[1] وفي الحديث أوحى اللـه إلى نبيـه أنّي قتلت بيحيى ابن زكريـا سبعين ألفـاً واني قاتل بابن بنتك سبعين الفـا وسبعين الفـا ولافائدة في الخلاف في نسبته إلى اللـه أهي حقيقية أم مجـازية مع الإتفـاق على المعنىٰ. وترتّب الفعل على قدرة العبـد واختيـاره لاينافي نسبته إلى الله سبحانه لأنه يخلق بعض المخلوقات مترتبة على فعل العبـد كإنبـات الزرع وخلق الولد وليس المراد أن نسبة الفعل إلى الله من هـذا القبيل! وانمـا المراد أنّه قد يترتب فعل الله سبحانه على فعل العبد مع أن فعل العبـد مترتب على فعل اللـه سبحانه ولامانع من هذا على أصول أهل العدل أعني نسبة فعل العبـد إلى اللـه بـالمعنى المـذكـور لانـه لاينـافي تحصيل العبد له وكونه يستحق أن يسأل عنه تماماً.

وقد ورد في القرآن أن ينسب إلى الله سبحانه وتعالى ما بعضه بواسطة فعل

---

(١) الأنعام: ٦٥.

العبد نحو ﴿فَرَدَدْنَاهُ إلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾[1] ﴿وَمَا بِكُمْ مِن نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾[2] ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾[3] ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ﴾[4] ﴿ نُسْقِيكم مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ ودَمٍ لَبَناً خَالِصاً﴾.[5]

فالنعم كلّها والإطعام والسقي من الله ولو تخلّل أسباب وصولها إلى العبد فعل العبد بل يعتبر من جملة الأسباب من حيث أنّ أثر القدرة وهي فعل الله سبحانه وان كانت لاتسمّى سبباً للفعل في عرف المتكلّمين مع أن بعضها قد وردت في القرآن نسبتها إلى المخلوق مثل ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾[6] ومثل ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾[7] فاذا اتفقت العدلية والجبرية على هذه الطريقة انحلت إشكالات كثيرة.

مسألة الرؤية:

قيل تجوز على الله بل تكون للمؤمنين، وقيل لاتجوز الرؤية على الله ولايراه أحد لا المؤمنون ولا الأنبياء المرسلون لأنها لاتليق بجلاله والجمع بين الفريقين أن يقال ليس في أدلة المثبتين لها إثبات الرؤية بقيد كونهابالأبصار وقد دلّت الآية الكريمة ﴿لاتُدْرِكُهُ الأَبصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ

(١) القصص: ١٣.
(٢) النحل: ٥٣.
(٣) يوسف: ١٠٠.
(٤) الأنعام: ١٤.
(٥) النحل: ٦٦.
(٦) الأحزاب: ٣٧.
(٧) الإنسان: ٨.

الْخَبِيرُ﴾[1] دلّت على نفي الرؤية ودلّت بسياقها على أنّها لاتليق بجلاله.

فيحمل ما استدل به المثبتون للرؤية على أنّها اتصال بالقلب وتعلّق بالله و توجّه بالذهن اليه وحده واستغراق الذهن في ذلك الذكر لله في النفس فيكون لذلك سرور للروح وانشراح للصدر كما ينشرح الصدر بذكر الله في الدنيا.

ولايجب ان تكون رؤيته سبحانه كرؤية المخلوقات لا بالعين ولا بالقلب، كما أن معرفته ليست كمعرفة المخلوقات وفعله ليس كفعل المخلوق وقوله ليس كقول المخلوق سبحانه وتعالى.

فان قيل لو كان معنى الرؤية ذلك لكان ذكرنا له في الدنيا بقلوبنا رؤية في الدنيا مع الإتفاق أنّا لانراه في الدنيا.

فالجواب: إنّ ذاك الذي في الآخرة له درجة لاتبلغها درجة ذكره في الدنيا اللهم إلاّ أن تكون تمت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن صحّ أنّه رآه بقلبه كما قيل وعلىٰ هذا فلايلزم أن يسمّى ذكره بالقلب في الدنيا رؤية لاختصاص الذي في الآخرة بمزيد حضور الذهن والإستغراق فيه مع قوة وكمال العلم بالله لكونه ضروري في الآخرة فافترقا.

فان قيل هذا مشكل لأن في الحديث كالقمر أو كما ترون القمر فمعناه الرؤية بالبصر!

فالجواب: انكم لاترضون بان اعتمادكم على هذه الرواية يستلزم تشبيه الله بالقمر والمراد عندكم تحقق الرؤية وانها في تحققها مثل رؤية القمر فقد بطل اعتباره دليلاً على الرؤية بالبصر لأن التحقّق يمكن أن ينسب إلى المعنى الذي ذكرناه ولايستبعد ذلك فان رؤية البصر للشيء لاتحصل فائدتها إلاّ مع انتباه الرائي.

---

(١) الأنعام: ١٠٣.

لـه وقـد يـرى الشيء وهو غافل عنه فيكون كأنه لا يراه وتكون الرؤية مع الغفلة عنه قليلة الجـــدوى. و لـذا فالـرؤية ليست غاية وإنّمـا هي وسيلة والغاية اتصـال القلب والـروح بالمرئي وبالنتيجة فقد كفى اتصال القلب والروح بالله تعالى من دون رؤية بـالعين ولا بـالقلب علىٰ معنىٰ الـرؤية بـالعين واتفقنا على حصول المقصود الذي يُطلب بالرؤية لو كانت ممكنة وسمّيناه رؤية لأنه غاية الرؤية فيماتجوز عليه وتمكن واذا اجتمعنـا على هذا التوفيق زال الخلاف وانقطع الجدال فيما يحتج به الفريقان في هذه المسألة.

فهـذا ما تيسر وحضر عند كتابة هذا البحث في التقريب بين المذاهب وبالله التـوفيق والحمـد للـه رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.